البابُ الثاني والعشرون

في وصفِ ملوكِ الأعاجمِ، ورسومهم بالمكارم

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾(1).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إذا عَظَّمت أمتي الدنيا نُزِعَتْ منها هيبةُ الإسلامِ، وإذا تَرَكُوا الأمر بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر، حَرُمَتْ عليهم بركةُ الوحيِ».

وقال (أردشير) ملكُ فارسَ لابنهِ: يا بنيَّ اجعلْ حديثَكَ مع أهلِ المراتبِ، وعَطيتَّك لأهل الدين، وبِشْرَكَ لمن أغناه ما أغناك من أهلِ العقلِ.

وقال نَهلة: أحسنوا إلى أهل الخراجِ، فإنكم لن تزالوا سماناً ما سَمِنوا.

قال: ولما أراد (الإسكندر) الخروجَ إلى أقصى الأرضِ، قال (لأرستطاليس): اخرجْ معي، قال نَحَل جسمي، وضعُفتُ عن الحركة، فلا تزعجني، قال: فأوصني في عُمَّالي خاصةً قال: انظر من كانَ منهم له عبيدٌ فأحسن سياسته، وولِّه الجندَ، ومن كانت له ضَيعةٌ فأحسنْ تدبيرَها وولِّهِ الخراجَ.

وقال الهلالي: كانَ ملكٌ من ملوكِ الأعاجم، سألَ أهلَ مملكته: أَنِ اختاروا خَصْلةً أَسْتَعِنْ بها، قال بعضُهم: الصبرُ، وقال بعضُهم القَناعةُ، ثم اجتمعوا على أن يَعْرِفَ الإنسان قَدْرَ نفسه.

---

(1) القصص: الآية (83).

قال: وأوصى بعضُ ملوكِ العَجَمِ ولاةَ أمرِهِ وعمّاله: ألّا تُحابوا أحداً في أخذ حقٍّ من الحقوق منه، إلا مَنْ إذا أزعجتموه يلتجىء إلى مَنْ فوقي، لأن من يلتجىء إذا اشتدَّ به الأمرُ إلى خلصائي فإني أكفيهم منهم، ولا قِوام إلى من يلتجىءُ إلى من هو فوقي، فإنه يلتجىءُ إلى الله، وأيُّ قدرة لي مع الله؟.

قال: وأوصى ملكٌ آخرُ إلى مَنْ يوليه: أنْ كنْ بالحقِّ عمولاً، وبالصدق قؤولاً وعما جهلت سؤولاً وافحصْ عن الأمورِ تتجلى لك، واستبطنْ أهلَ التقوى، وذوي الأحساب، فَتُزَيِّنُ نفسَك، ويحكُمْ أمرُك، وإياكَ وقبولَ التزكيةِ فيما لا شك أنه فيك مكذوبٌ، فإنها خَدعة تتبعها صَرعة، ولا تجعلنَّ سرَّك إلا إلى من يكتمُه، ولا تولِّ أمرَكَ إلا مَن يُهمه ما أهمك، ولا تثقْ برجلٍ تتهمه، ولا تُعوِّد لسانك الخَنَا، وإياك وكَثْرَةَ التأني، ولا تكلّف نفسَك بما لا تقوى عليه، وإذا هممتَ بخيرٍ فعجِّلْهُ، وإذا هممتَ بخلافه فتَأنَّ فيه، واعدلْ في الرعية، وارحمْ تُرحمْ.

وقال (أنوشروان)؛ ملك الفرس لحكماءِ الفرسِ: ليتكلمْ كلُّ رجلٍ منكم بكلام موجزٍ، فقال بعضُهم: أقبحُ الأشياءِ للسلطانِ اللَّجَاجَةُ، وقال آخرُ: أقبحُ الأشياء للحُكَّام الضَجَرُ قَبْلَ الفَهْمِ، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ للفقهاءِ سخافةُ الدين؛ وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بالعلماءِ إفراطُ الحِرص، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بالمقاتلِ الجُبنُ، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بالأغنياءِ البخلُ، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بالفقراء التَّكَبرُّ، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بالأشياخِ المزاح، وقال آخر: أقبح الأشياءِ بالشُّبَّان الكسل، وقال آخر: أقبحُ الأشياءِ بأهل الجماعات التخالف والتباغض.

وقال المدائنيُّ: خرجَ الزُّهريُّ يوماً من عندِ هشامِ بنِ عبدِالملكِ، فقال: ما رأيتُ كاليوم ولا سمعتُ كأربعِ كلماتٍ، تكلّمَ بها رجلٌ آنفاً، فقيل له: وما هي؟ قال دخلَ رجلٌ إلى أميرِ المؤمنين، فقال احفظْ عني أربعَ كلماتٍ فيهن صلاحُ ملكِكَ، واستقامةُ رعيتِكَ قال وما هن؟ قال: لا تَعِدَنَّ عِدَة لا تَثِقُ مِنْ نفسك بإنجازها، ولا تأمن على لطف عدوك إذا علمت ما يحبُّ منك، ولا يَحزنكَ مرتقىً وإن كان سهلاً، إذا كان المنحَدَر وَعِراً، واعلمْ أنَّ للأعمالِ جزاءً فاتقِ العواقبَ، وللأمورِ بغتاتٍ فكن منها على حذر.

الحكاية

قال ابنُ دأبٍ: دخلتُ على أميرِ المؤمنين وفي [يده] أكلة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وجعل يقول: هاتِ إن حديثك أعجبُ إليَّ من لقمتي هذه.

obeikandl.com